المحاضرة السادسة: أنواع الحرف والمهن

هدف المحاضرة 6- أن يتعرف الطالب على المهن العديدة والحرف المتنوعة التي كانت موجودة في الجزائر خلال العهد العثماني، سواء كانت حضرية أو ريفية، ضرورية كانت أو كمالية، ويدرك مواصفاتها وخصائصها

ثانيا-النشاط الصناعي:

الصناعة :

كان المجتمع الحضري كباقي مجتمعات البحر المتوسط مجتمعا حرفيا (ما قبل الصناعي) ، و هو عبارة عن مجموعة

من مراكز تجارية و نشاطات حرفية ، ترتكز أساسا على كل ما يحتاجه الفرد و المجتمع .

كانت الحرف تلبي المتطلبات من مواد غذائية صناعية و مواد أخرى في البناء و الأواني المنزلية ، التفريش و التجميل

و غيرها ، إلا أنها لم ترق إلى مستوى الصناعات و الحرف الأوروبية ، لأن هذه الأخيرة عرفت نهضة فنية و صناعية

انتشرت في أوروبا انطلاقا من إيطاليا .

لقد كانت الحرف تتمركز في أوساط المدن بشكل منظم حول الحارات (الأحياء) و كانت تشكل الوحدة الاقتصادية

الأساسية بالنسبة للصناعات في هذه الفترة ، كما أن لكل حرفة حيها أو رواقها (انظر حسن الوزان – وصف إفريقيا –

مارمول كاربخال – إفريقيا ج 2 -) و تشكل بذلك طائفة حرفية لها مجالها الجغرافي المحدد ، و يرأسها أمين (و هي نفس

الخاصية في العديد من المدن الإسلامية (انظر اندريه رايمون – المدن العربية الكبرى أثناء العهد العثماني -)

إن الوحدات الحرفية تحيط بها أسواق مقسمة إلى أحياء مهنية ، و كل حي يحمل اسم مهنة مثلا في قسنطينة :

حي الصباغين ، حي الدباغين ، رحبة الصوف ، رحبة الجمال ، سوق العصر ، حي الجزارين ، حي العطارين ، حي

النجارين .....

كانت التهيئة العمرانية للحارات شبيهة ببعضها البعض في المدن (مدينة الجزائر تشابه تلمسان وهذه الأخيرة تشابه

قسنطينة و المدية و غيرها ...) .

أمين الحرفة هو الذي كان يراقب الصناعة (المنتوج) و يشرف على العمال و له كامل الحقوق في معاقبة أو مكافأة

العمال ، و عموما كان العُرف (ما هو متعارف عليه) هو الذي يحكم الوحدة (الحرفة) و غالبا ما كان الأمين هو

صاحب الوحدة (حلقة الوصل بين العمال و الدولة) .

ومع هجرة الأندلسيين الذين فروا إلى سواحل المغرب العربي ، ظهرت مهن عديدة مثل النجارة ، الطرز على الحرير ،

الصباغة و الدباغة ، و كانت متطورة (في تلمسان مثلا) و كذلك النقش على الخشب و النحاس .

في سنة 1630م بلغ عدد الحرف في تلمسان أكثر من 40 حرفة (يرأسها 40 أمينا – 180 حدادا – 25 صباغا –)

و قد ذكر ذلك كل من الدكتور شو و القنصل الفرنسي فونتير دي بارادي الذي أقر بتطور صناعة الأشرطة الحريرية

و الأحزمة الذهبية و القفاطين ... أما في المناطق الداخلية فنجد :

- تقرت ، بسكرة ، غرداية : الحرج ، الصباغة على القماش ، الدباغة و الفخار .

- ندرومة ، معسكر : حياكة الأفرشة ، النقش على الخشب و النحاس .

- المدية : الطرز على الجلود .

إلا أن احتكار الدولة لهذه النشاطات الحرفية لم يسمح بانتشارها ، فلقد كانت سياسة البايليك حاجزا أمام الاستثمارات

المحلية . يُقدر أندريه نوشيه دخْل الدباغين في قسنطينة مثلا عام 1830م بـ 176.400 فرنك فرنسي .

الواقع أن المدن الجزائرية كانت تضم العديد من الحرف و المهن و التي يحق لنا وصفها بالتنوع و الإتقان و التنظيم ،

و كانت موزعة على العشرات من النقابات المهنية فنجد : أمين الفضة ، أمين الخياطين ، أمين الطرازين ، أمين البحارة

أمين السراجين ، أمين البلاغجية ، أمين العطارين ، أمين الشواشية ، أمين الدباغين ، أمين المقايسية ، أمين الخزافين ،

أمين الصوابنية ، أمين الصباغين ، أمين البنائين ، أمين الكواشين .....

و بالنسبة للأسواق نجد أن لكل مهنة سوق ينسب إليها : سوق الحرايرية ، سوق الفخارين ،سوق النجارين ، سوق الفضة

سوق الجشاقماجية (صانعو البنادق) ، سوق السمارين ، سوق العطارين ، سوق الخبازين ، سوق الرصايصية (أنابيب

المياه)، زنقة المسايسية (الأساور) ، زنقة الصاغة ، زنقة الذوادة (الخيوط المذهبة) ، زنقة الفراغية (الأقفال) ،

زنقة البشامقية (نوع من الأحذية) ، زنقة الذوابين ، زنقة الشواشية (القلانس) ، زنقة البلاغجية .(انظر الشويهد ،

قانون أسواق مدينة الجزائر).

و من خصائص و مميزات الحرف و المهن في الجزائر أثناء العهد العثماني :

- لم تتجه للتصدير الخارجي ، بل اقتصرت على تلبية حاجيات السكان المحلية .

- هي حرف ومهن كمالية وترفيهية في المدن، تميّزت بدقة الصنع و رقة الذوق .(الشواشي- الشاشية الحمراء-

الأحزمة ، الحلي و الجواهر ، الأقمشة الحريرية المطرزة و المناديل المذهبة و المفضضة ....

- اتصفت ببساطتها و خشونة أسلوبها – بالنسبة لحرف و مهن الأرياف كالأواني الفخارية و الخشبية و الطينية بالإضافة

إلى الأنسجة الصوفية (الجلابة ، البرنوس ، الحايك ، الزرابي ، الحصر و الصناديق و القباقب و المناجل و الأسلحة ،

الألجمة و التلاليس و الأقفال .....

- أغلبها ذات طابع وراثي سواء في المدن أو الأرياف (ففي المدن أصبحت ترتبط بحياة الأسرة و ترابط الطائفة ،

أما في الأرياف فأصبحت تعكس عادات و تماسك القبيلة ، وهذا ما أدى إلى تخصص بعض المدن والمناطق و الجماعات

بمهن معينة و حرف مميزة : - القبائل – البناء -

- البساكرة – الحراسة و النظافة -

- بنو ميزاب – الحمامات و الأفران -

- الأهالي – الصناعات النسيجية و الفخارية –

- اليهود – صك العملة و الجواهر -

أما العائلات (عائلة ابن حمادوش – الدباغة - ،عائلة بوعينين – صناعة الشاشية - ، عائلة ابن المليح – حرفة العطارة -

عائلة المسطول – صناعة الأسرجة – (انظر عائشة غطاس – الحرف و الحرفيون-) .

أما الأسرى الفنيون فيشتغلون في الأعمال الفنية المتخصصة كمصاهر المدافع و السباكات ، أما عديمو التأهيل فيشتغلون

في التجذيف ويذكر بيار بواييه أن : " الوظائف الفنية كانت من نصيب المسيحيين كمعلم ورشة و مصمم السفن بشرشال

الذي كان مالطيا و مصمم جسر باب القنطرة كان أوروبيا الذي بناه صالح باي سنة 1772م .

في مجال صناعة السفن نجد مثلا :- الفلامندي سيمون دانسا (ق16م)

- المهندس الفرنسي جوافري (1798م)

- المهندس الاسباني مايسترو انطونيو(1800م)

- المهندس المرسيلي غازال (1815م)